«مصابيح أورشليم» رواية عن إدوارد سعيد لعلي بدر:

نقاشات حول التدخل الامريكي في العراق تتداخل مع خطى ادوارد سعيد في شوارع القدس العتيقة!

د.حسين كناني*

■ صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر رواية لافتة في موضوعها ومضمونها، وكاتبها هو الروائي العراقي علي بدر الذي كتب فيما مضى رواية لافتة في موضوعها ومضمونها أيضا هي «بابا سارتر»، أما الرواية الجديدة لعلي بدر فهي «مصابيح أورشليم/ رواية عن إدوارد سعيد»، حيث بطلها المفكر الفلسطيني الراحل إدوارد سعيد، وتدور أحداثها في القدس، أثناء زيارته لها في التسعينيات، وهذه الرواية الكبيرة نسبيا (350) صفحة، بانورامية في أحداثها ومسيرتها، تغطي حقبة كبيرة من تاريخ فلسطين والعالم العربي والعالم، ومكتوبة بصورة ملحمية ودرامية وبإيقاع شفاف للغاية، وربما هي أكثر رواية تتناول موضوعة الصراع العربي الإسرائيلي بموضوعية وحيادية تامة.

تبدأ الرواية بتقرير أولي، وهو تقرير مهم للغاية، حيث يكشف فيه الكاتب عن انشقاق النخبة المثقفة العراقية وصراعها مع بعضها قبيل الغزو الأمريكي للعراق، ويتناول فيه أيضا بالوقائع أثر إدوارد سعيد على هذه النخبة في التسعينيات، ثم انشقاقها فيما بعد على خلفية سجال إدوارد سعيد مع الكاتب العراقي كنعان مكية الأستاذ في جامعة برانديز والمؤيد للغزو والداعي إلى احتلال العراق، حيث ينقسم المثقفون الشباب إلى قسمين، الأول يؤيد إدوارد سعيد ويعادي الغزو الأمريكي للعراق، والآخر يؤيد كنعان مكية ويطالب باحتلال العراق.

الشخصية الأولى يمثلها علاء خليل المؤيد لكنعان مكية، وهو معجب بالغرب وبالثقافة الغربية وبمشروع الديمقراطية ويريد من أميركا التدخل في العراق وتغيير نظام الحكم، والآخر أيمن مقدسي، مولود في بغداد ولكنه من أصل فلسطيني، حيث يدرس في جامعة كولومبيا بإشراف إدوارد سعيد، وهو بعيد نوعا ما عن مشاكل وهموم الشباب العراقي، حيث لم يخدم العسكرية وهو ليس منخرطا في مشاكلهم الاجتماعية والسياسية، فيحدث بينهما جدال وسجال وتصادم واتهامات متبادلة، فيشعر أيمن مقدسي بأنه غريب ومنفي وللتخلص من منفاه يبدأ بكتابة رواية عن إدوارد سعيد، أو كتابة ملاحظات، ويجمع وثائق مهمة، غير أنه يتركها دون أن يكملها. أما الراوي وهو الكاتب والصحفي المحايد وصديق علاء خليل وأيمن مقدسي معا فهو الذي يقوم بكتابة الرواية، ويضع هذه الوثائق جميعها في نهاية الرواية تحت عنوان: تخطيطات وأفكار ويوميات انسكلوبيدية للكتابة.

والمطلع على الشؤون العراقية يدرك أهمية هذا التقرير الذي يأخذ من الرواية 77 صفحة، حيث يكشف علي بدر بإمكانياته المعروفة أساس الصراع وجذوره، ويقدم لنا معلومات غنية بحيادية تامة، دون أن يفسد جو الرواية، إذ لا يتخلى عن مهنته كروائي بالرغم من أن المفكر السياسي والمثقف الذكي تحت ملابسه.

أما الجزء الثاني من الرواية فهو يخص إدوارد سعيد، وهو يسير في شوارع القدس، يقوده إثنان، هما يائيل وإيستر، وهذان الشخصان هما بطلان في روايات إسرائيلية، حيث يلعب علي بدر لعبة سردية مدهشة حقا، يأخذ الشخصيات الروائية الإسرائيلية، وكلهم أبطال في روايات الكتاب الإسرائيليين: عاموس عوز، ديفيد غروسمان، إبراهيم بن يشواع، وزولية شيليف، ويجعلهم يروون حياتهم من جديد، حيث يقلب علي بدر الأحداث السردية لهذه الروايات ويجعلها مسرودة بطريقة جديدة.

أما لغة الرواية الشعرية، فيأخذها الكاتب عن طريق تفكيك بنية الشعر الإسرائيلي وهي قصائد مناحيم بياليك وألترمان ويهودا عميخاي وغيرهم، وبالفعل كانت طريقته جديدة في الكتابة، حيث يتوصل إلى مزج بين اللغة العبرية والعربية ليظهر واقعة الموت والدمار والخراب في التاريخ المتداخل للشعبين اليهودي والعربي.

أما ثيمة الرواية الأساسية فهي الاغتراب، حيث يشعر إدوارد سعيد وهو يسير في شوارع القدس باغترابه عن مدينته الأصلية التي عرفها وهو طفل، هناك حين كان يلعب على البسكلتة في الحي العربي الذي أصبح مستوطنة عبرية، وبالمناسبة فإن الكاتب يكشف عن إلمام كبير في جمع معلوماته عن القدس الحالية، شوارعها، محلاتها، متاجرها مستشفياتها، مكتباتها، باراتها، ولكن هذه المدينة أصبحت إسرائيلية، فقد غيرت الكولونيالية معالمها بالقوة، وأصبحت غريبة عن ساكنها المحلي، وفي هذه الفصلة نصل إلى مراحل متداخلة مشوقة بين طفولة إدوارد سعيد وبين وصول العصابات الصهيونية وهم يحملون بنادقهم وزواداتهم إلى فلسطين أيام الانتداب البريطاني، ويقدم الكاتب معلومات ثرية ووقائع جديدة عن فترة الانتداب وبدء رحيل العرب واستيطان اليهود في المدينة.

أما الثيمة الثانية فهي التاريخ، فيصور الكاتب عملية فبركة التاريخ واختراعه وسرده، وهو يعتقد مثل هومي بابا أن الأمة هي سرد، ومن خلال رؤية إدوارد سعيد يصل إلى تفكيك الرواية التاريخية، ويقدم سردية جديدة تناقض السردية الأولى وتهدمها، وبالتالي يبدأ القارئ ينتقل من مرحلة تاريخية إلى أخرى في السياق السردي للقدس تحت الفتح العربي، ثم الصليبي، ثم العثماني، ثم البريطاني، ثم اليهودي، أما الطريقة السردية فهي في جعل المدينة مثل الطرس، والطرس هو عبارة عن ورق جلدي قديم تتم الكتابة فوقه دون أن تمحي، وهو يأخذه من مفهوم التناص لجيرار جينيت الناقد الفرنسي الشهير، وهكذا تصبح القدس تناصا، أو طرسا، حيث هي كتابات فوق كتابات، كتابة عربية وعبرية ورومانية وانكليزية وهكذا...أو كما يصفها في الصفحة 63:

«كل شيء قديم يتراءى خلف الشيء الجديد ويقضي عليه، لا شيء يمحي ويزول: المدينة مثل الطرس...كتابات تنكتب فوق كتابات، صور ترتسم فوق صور، رموز جديدة فوق رموز قديمة، قبور فوق قبور، لا شيء يمحى إنما يصبح فوقه وعليه، كتابات ترتسم فوق كتابات، كل كتابة تبدأ بالامحاء ترتسم على هذا الطرس كتابة أخرى...

صاح: أورشليم هي الطرس...

–فكرة جميلة...قلت له.

–التاريخ سرد متقطع، وهو مختل وغير متسق، وهكذا سأرويه»...

في الواقع نحن نقرأ رواية عن حياة إدوارد سعيد، عن مسيرته، والأشعار التي كان يحفظها وهو طفل، عن صوره في شبابه وكتاباته، ثم يقوم الكاتب بدمجها في حياة مدينة القدس، ويستخدم في هذه الدورة المسيرية (يسير إدوارد سعيد على أقدامه في شوارع القدس) الكتابات تاريخية، والخرائط والنقود والوثائق والمذكرات.

أما الهدف الإشكالي في رؤية الكاتب فهو أن القدس «مدينة لكل المنفيين، لكل اللاجئين، هي المكان الأعظم الذي ينسى فيه المنفي منفاه، هي مكانه بعد أن غادره كل مكان، هي شفاء لكل عذابه وموطنه من كل طرد». أما السؤال الذي نطرحه عليه:

هل يتساوى اليهودي والعربي في منفاه؟ هذا السؤال الذي نطرحه على الكاتب علي بدر والذي نرى أنه أخفق في حله في هذه الرواية الإشكالية والتي ستثير جدلا كبيرا حتما بين المثقفين العرب، فالمشكلة أن الكاتب العربي وهو يتطلع إلى العالمية يأخذ بوجهة نظر عالمية أو أوروبية وينسى حقائقنا نحن على الأرض.

الجزء الثالث من الرواية، كما أسلفنا تحت عنوان «تخطيطات وأفكار ويوميات انسكلوبيدية للكتابة»، وهذا الجزء بغاية الأهمية، فبالرغم من أن لعبة الرواية تقوم على أساس أنها وثائق ويوميات تركها لنا أيمن مقدسي بعد اختفائه المفاجئ في بغداد عقب الاحتلال إلا أنها تنطوي على معلومات ووثائق هامة لا نعرف من أين حصل عليها الكاتب: وثائق عن مسلمين، ومسيحيين، ويهود، ومجموعة كبيرة من الكاتلوغات السياحية، ومخططات المدينة، وأشياء لا نعرف مدى صحتها عن الدعايات الإسرائيلية والإعلانات وخطوط الباصات، والقصص، وأسماء السكان والشوارع والمقابر والصور والصحف..

هذه الرواية تدلل أن الرواية العربية تخطو إلى العالمية بخطوات واثقة.

* كاتب من العراق

وزراء الثقافة الخليجيون في ختام اجتماعاتهم بأبوظبي:

اقرار مهرجان ربيع الخليج وتكريم المبدعين ودليل الادباء في دول المجلس وازالة عوائق الترابط الثقافي

ابوظبي ـ «القدس العربي» ـ من جمال المجايدة:

اختتم وزراء الثقافة الخليجيون اجتماعاتهم في ابوظبي بالتأكيد على ضرورة تفعيل العمل الثقافي بين دول مجلس التعاون الخليجي على مدار العام وتعزيز التعاون الثقافي مع العالم الخارجي عبر الاسابيع والمهرجانات الثقافية الخليجية وفتح آفاق جديدة للحوار مع الاخر.

وكان عبدالرحمن بن محمد العويس وزير الثقافة الاماراتي قد افتتح اعمال الاجتماع الثالث عشر للوزراء المسؤولين عن الثقافة فى دول المجلس.

وقال ان الاجتماع يسعى إلى إحداث نقلة نوعية في المسيرة الثقافية المشتركة لما لها من اهمية في الحفاظ على التراث والثقافة والهوية الخليجية واحيائها وتمتين الوشائج وتوثيق الصلات الفكرية والروحية بين ابناء الخليج وتقريبهم من بعضهم بعضا.

واشار الى انه بقدر ما يدرك معالي الوزراء الموقع المحوري للعمل الثقافي في حياة المجتمع الخليجي في حاضره ومستقبل أجياله ومصيره بقدر ما تقع على المسؤولين عن الثقافة مسؤولية حقيقية في حسن الاختيار ودقة الأداء والحرص على المتابعة والاستمرارية.

وحول نبض الشارع الثقافي اشار وزير الثقافة الى انه يكاد يعلو على كل ما يطرح ويقدم له من حراك ثقافي من خلال البرامج المشتركة.. وانه يحس بان البرامج قد لا ترقى إلى مستوى تلبية طموح التائقين من ابناء دول المنطقة.. إلى التلاحم والتلاقي والاستقواء بوحدة الفكر والثقافة مشيرا الى أنهم بلا ريب يتوقون إلى أن يتعزز إحساسهم بهويتهم وتراثهم.

ودعا العويس في كلمته النخب الثقافية في دول المجلس وبمختلف تجلياتها إلى مراجعة جادة ووقفة نقدية شاملة لكل برامجنا الثقافية المشتركة كي يعاد النظر فيها في ضوء معطيات الواقع الجديد وما تتطلبه التطورات التي يشهدها عالمنا المعاصر المضطرب والمتغير بشكل مذهل وكذلك ما أفرزته حاجات شعوب المنطقة من انساق تفكير وثقافة وما تستدعيه من وسائل تنفيذية وأدوات حتى تبقى مسيرتنا على زخمها ويزداد تأثيرها وريادتها.

وتمنى ان تكون الندوة المقترحة حول خطة التنمية الثقافية المنبر الذي تتم من خلاله مثل هذه المراجعة مؤكدا في هذا المجال على ضرورة بلورة معايير واضحة قدر الامكان لقياس مستوى الأداء حتى يتبين مدى النجاح ومدى الاخفاق بغرض تعزيز الايجابيات وتقليص نقاط الضعف.

واختتم العويس كلمته بالاشارة الى مسألة في غاية الأهمية تتصل بوسائل الإعلام الجماهيري ودورها المركزي في الحياة الثقافية ملمحا الى ان ما تزخر به القنوات الفضائية يستدعي الانتباه والعمل الناجع وطالب بالتحرك إيجابيا من خلال الاستفادة من هذه القنوات وضخ ما نستطيع من برامج مشوقة ومفيدة لبناتنا وأبنائنا ولنا جميعا.. تنهل من تراث الخليج العريق وثقافته الغنية بحيث تصبح هذه القنوات قيمة مضافة إلى الأعمال الجيدة الكثيرة التي يمكن ان تقدمها عن ثقافات وحضارات الشعوب الأخرى.

وقال الدكتور عبدالله بن عقل الهاشم الامين العام المساعد لقطاع شؤون الانسان انه تم بحث مشروع الاسبوع الثقافي والمزمع اقامته فى الهند واطاره التنفيذي الذي نأمل ان يتم تنفيذه بفضل دعم الوزراء ومساندتهم لهذا الحدث الثقافي الذي يعد احد روافد التقارب والتواصل الثقافي والفكري مع الثقافات الاخرى هذا بالاضافة الى المذكرات المتعلقة بالبرامج والنشاطات المشتركة والمهرجان الثقافي الدوري.

وكذلك اشار الى اقرار لائحة تكريم المبدعين من ابناء دول المجلس ودليل الادباء في دول المجلس ومهرجان ربيع الخليج.

وتساءل محمد بن عبد العزيز الشعفار وزير الاعلام وزير الدولة للشؤون الخارجية بمملكة البحرين: هل تمكنت دول مجلس التعاون منذ نشأتها قبل اكثر من ربع قرن كتجمع اقليمي من استخدام الثقافة كمقوم مشترك لتحقيق مزيد من الترابط والاندماج بين دولها وشعوبها؟.

واضاف عقب تساؤله انه على الرغم مما شهدته دول المجلس من نشاطات وتطورات ثقافية فانها لم ترتق الى المستوى المأمول لترسيخ التواصل وتحقيق مزيد من الاندماج فى الكيان الخليجي. وقال انه لا بد ان نتشاور حول استنباط طرائق جديدة لاستخدام الثقافة الخليجية كمقوم لزيادة التقارب والتداخل كما المقومات الاخرى مثل الاندماج الاقتصادي، وحول كيفية الارتقاء بالثقافة الخليجية وتأصيل الانتاج الثقافي ليتمكن من مواجهة التحديات والتواصل مع مراكز الفكر والثقافات الاخرى المتطورة ومن ثم الاستفادة منها بالتفاعل المتجدد معها بالتوازن المبدع بين الاصالة والمعاصرة. واضاف ان دول مجلس التعاون فى امس الحاجة الى هذا المنهج فى عالم يموج بموجات فكرية شتى ويزخر بتيارات ثقافية عديدة تسعى لفرض افكارها ورؤاها على الاخرين.

واكد على حاجة الثقافة الخليجية فى القرن الحادي والعشرين الى اعادة نظر ومراجعة عميقة وتحمل المسؤولية بما فيها النخبة المثقفة التي تتحمل ايضا شيئا من تبعات الوضع القائم اضافة الى حاجة الوصول الى مرحلة الوعي الثقافي الحقيقي لدى الاجيال الجديدة الصاعدة التي ترعرعت في احضان دولة الرفاه وابتعدت خطوات عن الفكر المنتج والاداب والفنون الاصيلة بعدما تشبعت اهتماماتها لتنحصر في الغالب في مستوى غير معمق من الثقافة.

وتطلع معاليه الى تفعيل استراتيجية التنمية الثقافية لدول المجلس كركن اساسي من اركان التنمية الشاملة والمستدامة من خلال تشجيع الانتاج الثقافي الخليجي لاقامة ثقافة متقدمة نابعة من تراثنا ومعاصرة في نفس الوقت لما حولها من التقدم والابداع في الثقافة العالمية.

قصيدة سغيديلا الفجر

للشاعر فدريكو غارسيا لوركا

ترجمة: مصطفى الرادقي*

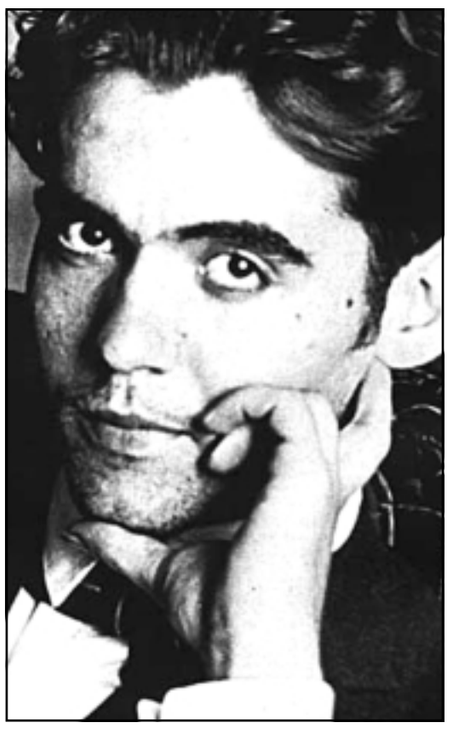
لوركا

منظر طبيعي

ريف
اشجار الزيتون
ينفتح وينغلق
كأنه مروحة
فوق دالية العنب الزيتوني
ثمة سماء محطمة،
ومطر معتم
من نجوم باردة.
على حافة النهر
يرتعش الاسل والغبش
الهواء الرصاصي يتكدر
اشجار الزيتون
مثقلة
بالصراخ
وبسرب
طيور اسيرة
تحرك اذنابها الطويلة
في العتمة.

القيثارة

ها قد شرعت القيثارة
في ذرف الدمع
منذ اول الفجر
والكؤوس تتكسر
لقد شرعت القيثارة
في ذرف الدمع.
وبدون جدوى
سيتم اسكاتها.
انه لشيء مستحيل
محاولة اسكاتها
انه دمع ريب
كدمع الماء،
وكدمع الريح
فوق الثلج المتساقط
انه لشيء مستحيل
محاولة اسكاتها
لانها تبكي الاشياء
البعيدة.
رمل الجنوب المتقد
الذي يشتهي ازهار الكاميليا البيضاء
انها تبكي السهم الطائش،
المساء البلا غد،
وأول طائر مات
فوق الغصن.
آه، أيتها القيثارة!
آه، أيها القلب
المطعون حتى الموت
بخمسة سيوف.

الصرخة

قطع صرخة
يتمدد من جبل
الى جبل.
ومن رقصة الزيتون (*)
يمتد قوس قزح أسود
فوق الليل الازرق.
أي!

مثل قوس كمان،
رجت الصرخة
اوتار الريح الطويلة.
أي!
(الناس الذين يعيشون في المغارات
اخرجوا عيونهم).

الصمت

أنصت، يا بني، الى هذا الصمت
انه صمت متموج،
صمت
تنساب فيه الاصداء والوديان.
ويحني الجباه صوب الارض.

مرور موكب السغيديلا

بين فراشات سوداء،
تمشي فتاة سمراء
بجانب ثعبان ابيض
من ضباب.
ارض من ضوء،
وسماء من تراب.
الفتاة موثوقة الى ارتجافة
ايقاع لن يأتي ابدا،
لها قلب من فضة
وتمسك خنجراً في يدها اليمنى.
الى اين تمضي، يا سغيديلا،
بايقاع قتيل؟
أي قمر سيحضن
وجعك الذي من جير ودفلى؟
أرض من ضوء.
وسماء من تراب.

بعد مرور الموكب

الاطفال ينظرون
الى نقطة نائية.
المشاعل انطفأت.
الفتيات الصغيرات الضريرات
يسائلن القمر،
وفي الجو تعلو
الدموع حلزونية.
الجبال تنظر
الى نقطة نائية.

ثم فيما بعد

المتاهات
التي يصنعها الزمن
تتبدد.
(وحدها الصحراء
تبقى)
القلب،
نافورة الرغبة،
يتلاشى
(وحدها الصحراء
تبقى)
وهم الفجر
والقبلات،
يضمحل.
وحدها الصحراء
تبقى.
صحراء
متموجة.

* اشارات سغيديلا La Seguiaild رقصة اسبانية شعبية اندلسية الاصل

* رقصة الزيتون: رقصة شعبية ترقص بعد قطاف الزيتون.

* شاعر من المغرب